

سطوع شمس النبوة

الشيخ محمد صالح المنجد

النبة:

لقد كان العالم في جاهلية وظلمة يتخبط ويعيش حياة الحيرة والاضطراب والظلم والعدوان حتى شاء الله تعالى أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم فسطعت شمس النبوة في أرجاء العالم، ونشر الله دينه، وقد اختصر النبي صلى الله عليه وسلم حياة طويلة للمسلمين في كلمات قليلة بقوله: ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ)).

رحمة الله بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم.

حياة الجاهلية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

شمس النبوة الحمديّة.

حال المسلمين اليوم.

الأسباب التي أدت بنا إلى ما نحن عليه.

سنة التدافع والمستقبل للإسلام.

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } (سورة آل عمران 102).

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (سورة النساء 1).

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } (سورة الأحزاب 70-71).

أما بعد:

رحمة الله بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم.

فقد كان العالم في جاهلية وظلمة يتخبط ويعيش حياة الحيرة والاضطراب والظلم والعدوان حتى شاء الله تعالى أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم فسطعت شمس النبوة في أرجاء العالم، ونشر الله دينه، وقد اختصر النبي صلى الله عليه وسلم حياة طويلة للمسلمين في كلمات قليلة بقوله: ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ)) [رواه

الترمذي 2629]، وفي الغربية وبين الغربتين وحوهما ندندن في هذه الخطبة، ولا نجد أفضل من يخبر عن كيفية زوال

الغربة الأولى وكيف بدأ الإسلام أفضل من كتاب الله تعالى الذي يصف التحول في قوله عز وجل: {أَوْ مَنْ كَانَ

مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (سورة الأنعام 122)، على المستوى الفردي وعلى مستوى العالم {أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا

لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ (سورة الأنعام 122)، رآها شخص في المنام ثم هداه الله تعالى، رآها شخص في المنام تقراً عليه ثم هداه الله تعالى، وهذه الآية لعموم العالم وهذه الأمة كانت ميتة فأحياها الله بالإسلام، حقاً إنه تصوير رائع عجيب تقف الأقلام حائرة في وصفه، وكذلك الأسلوب القرآني في كل حين، رحلة عجيبة من الموت إلى الحياة ومن الظلمات إلى النور {هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ} (سورة الزمر 29)، مسافة هائلة ونقله عظيمة، كذلك كان المسلمون قبل هذا الدين، قبل أن ينفخ الإيمان في أرواحهم فيحييها ويطلق فيهم، وتطلق فيهم هذه الطاقة الضخمة من الحيوية والحركة كانت قلوبهم مواتاً، وكانت أجسادهم ظلاماً، ثم إذا بتلك القلوب يتضح عليها الإيمان فتهتز وإذا أرواحهم يشرق فيها النور فتضيء، ويفيض منها النور فتمشي به بين الناس تمهدي الضال وتلقط الشارد، وتطمئن الخائف، وتحرر المستعبد، وتكشف معالم الطريق للبشر، وتعلن في الأرض ميلاد الإنسان الجديد، الإنسان المتحرر من العبودية، الذي خرج من رق عبودية البشر إلى عبودية الله وحده، فنفخت روح الحياة حياة الإيمان من جديد، وأفيض على قلبه النور، وهكذا حصلت تلك النقلة، نقلة بعيدة.

حياة الجاهلية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

إذا نظرنا أيها الإخوة إلى حياة الجاهلية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ماذا كان فيها؟ كانوا يعبدون الأصنام والأوثان والأشجار والأحجار ولكل قبيلة صنم مشهور، ورب منحوت، بل ربما كان لكل بيت في الغالب صنم خاص به، وكان في جوف الكعبة المشرفة وحوها ثلاثمائة وستون صنماً، وارتكس الناس في الشرك، وأمعنوا في الوثنية.

قال ابن إسحاق رحمه الله: واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به حين يركب، وإذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش: {أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} (سورة ص 5).

وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب وتمهدي لها كما تمهدي للكعبة، وتطوف بها كتطوافها بالكعبة، وتنحر عندها.

وفي الصحيح عن أبي رجاء العطاردي قال: كنا في الجاهلية إذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من التراب وجئنا بالشاة فحلبناها عليه، ثم طفنا بها.

وربما اتخذ بعضهم إلهاً من تمر فإذا جاع أكله، فهل بعد هذا من سقوط والحدار.

وجاء في حديث المغيرة رضي الله عنه مع رستم، قبل وقعة القادسية: وكنا قوماً نعبد الحجارة والأوثان فإذا رأينا حجراً أحسن من حجر ألقيناه وأخذنا غيره.

ولم تكن هذه الأصنام والأوثان وحدها هي المربوبات، بل كان هناك في الحقيقة مربوبات أخرى معبودة تسيطر على القلوب، ربما أكثر من سيطرة الإله الذي يزعمون عبادته، فالقبيلة كانت رباً يعبد ويطاع، ولا يجروء أحد من أفرادها على المخالفة عن أمرها، وكان قائلهم يقول:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت *** غويت وإن ترشد غزية أرشد

حتى إن أكبر تهديد كان يمكن أن يتعرض له إنسان هو الخلع من القبيلة، فيصبح خليعاً منبوذاً لا يتحدث إليه أحد ولا يتعامل معه أحد، ومن هنا خضع الأفراد لسلطان القبيلة في غيها ورشدها سواء.

لا يسألونها حين تأمرهم بقتال أو سلب أو نهب أحلال هو أم حرام، فهذه هي حمية الجاهلية التي قال الله عنها: **{إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ}** (سورة الفتح 26)، ولم تكن القبيلة هي صاحبة السلطان على قلوب الناس فحسب، بل كان عرف الآباء والأجداد سلطاناً قاهراً يستعبد الناس، ويحول بينهم وبين الاستقامة قال الله تعالى: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقُبُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ}** (سورة البقرة 170) كما كان الهوى رباً مطاعاً معبوداً، قال الله تعالى: **{أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا}** (سورة الفرقان 43)، كما كان عدم الإيمان باليوم الآخر يشكل حياة الناس في ذلك الوقت فما دام العمر قصيراً، ولا بد من الموت، ولا اعتقاد بحساب بعده فلماذا لا تنتهب اللذات قبل أن يفوت الأوان؟

وهكذا الغريون اليوم، لا إيمان بالبعث، فلماذا لا يغرقون في الشهوات، ويحصلون من اللذات ما دامت الحياة هي الوحيدة، الحياة الوحيدة، كانت معرفة أهل الجاهلية بالله تعالى أيها الإخوة معرفة نظرية، يقرون بتوحيد الربوبية ويكفرون بتوحيد الألوهية، قال الله عز وجل: **{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}** (سورة يوسف 106)، قال طائفة من السلف: تسألهم من خلق السماوات ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال قالوا: الله، وهم مشركون به.

فالإيمان بتوحيد الربوبية والكفر بتوحيد الألوهية هو الذي يفسر قوله تعالى: **{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}** (سورة يوسف 106)، وقد أخبر الله تعالى عن إقرارهم النظري الذي ليس له أثر عملي، قال تعالى: **{وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}** (سورة الزخرف 87)، **{وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}** (سورة لقمان 25).

وكان الخوف من الجن والاستجارة بهم والتعوذ بكبرائهم من دين أهل الجاهلية، قال تعالى: **{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}** (سورة الجن 6)، كان الرجل يخرج بأهله مسافراً فيأتي الأرض أثناء الطريق فيترها خائفاً فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضرب أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي. كانوا يؤمنون بالخرافة والسحر والشعوذة، وكان إتيان الكهان والعرافين ديدنهم في كل ما يلزمهم من أزمات، كما يفعل اليوم، كما يفعل الكفار اليوم، كما يفعل أهل جاهليتنا.

وكانوا يطوفون بالبيت عرايا، وتقول المرأة:

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله**

ويتأولون: أنهم لا يطوفون بالبيت بشباب عصوا الله فيها، وماذا يفعلون هم إلا المعصية في ذات الأمر؟ **{وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}** (سورة الأعراف 28)، وكانوا يحلون ما حرم الله، يا جماعة، **(بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ)** [رواه

الترمذي[2629]، فالجاهلية ستتكرر وارتبط وقارن، وكانوا يملون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله افتراءً على الله، ويبتعدون من المحدثات ما لم يأذن به الله، قال الله: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} (سورة الأنعام148).

كانت الأعراف الجاهلية هي الأعراف السائدة، وقد عبر المغيرة رضي الله عنه بتعبير حسن للغاية بين يدي ملك الفرس يزيد جرد الذي قال له، يقول ملك الفرس: إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي، الغساسنة والمناذرة ليكفوناكم، لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم، فإن كان عددكم كثر فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد - الفقر الحاجة - دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم، إلى حين تخصب أرضكم، وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم، فقال المغيرة رضي الله عنه: أما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حال منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع، كنا نأكل الخنافس والجعلان، والعقارب والحيات، ونرى ذلك طعامنا، وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل والشاء والغنم، لباس الحرير لا نعرفه، ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً، وأن يبغى بعضنا على بعض، وإن كان أحداً ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامه، وكانت حالتنا قبل اليوم على ما ذكرت لك، كانوا يشربون الخمر ويزنون ويرتكبون الفواحش، ويلعبون الميسر، ويعدون البنات ويقتلون الأولاد خشية الفقر، ويعتدي الأقوياء على الضعفاء، السلب والنهب، كانوا يسيئون الجوار ويقطعون الأرحام، وكانوا يحتقرون المرأة أيما احتقار، ويمتهنونها حتى إنما تورث عندهم كسقط المتاع، وكان احتقار العبيد وازدراءهم سمة من سمات العصر الجاهلي، حتى ربما استعبد الأب ابنه إن كان من أمة سوداء. وكان التفاخر بالأحساب والطعن في الأنساب معلماً من معالم الجاهلية التي شيدت على بناء من العصبية القبلية المقيتة، وكان كثير من العرب خصوصاً من أبناء البوادي يحتقرون الزراعة والصناعة، ويرون أنها من عمل أهل الذلة والهوان، وأن الرجولة كل الرجولة السلب والنهب على الجياد بالسيوف.

ولم يكن هناك سلطان يجمعهم، كانوا متفرقين، المناذرة في العراق، والغساسنة في الشام، اصطنعت هاتين الدولتين اصطنعهما فارس والروم على الحدود بينهم وبين العرب فأديا دور الخدمة أحسن أداء، وبطش ملوكهم بقبائل العرب حتى بطش المنذر بن ماء السماء بقبيلة بكر العربية؛ لأنها رفضت طاعته وأسر عدداً كبيراً منهم، وأمر بهم أن يذبخوا على جبل أواره وأمر بالنساء أن يحرقن بالنار.

شمس النبوة الحمديّة.

ولا زالت تلك الحال والظلم والظلام والشرك والأوثان والفسق والآثام، والخرافة والدجل، والتقاتل والتفرق، والتشاحن والعصبية، والخصام المتواصل حتى أذن الله بأن تشرق شمس النبوة الحمديّة.

وأضاءت لهم أنوار العقيدة الإسلامية وسرعان ما انقشعت دياجير الظلام وزالت أحجبة الشرك، فأقبلوا إلى هذا الدين الجديد بعد طول مكث في الخيرة والتردد والضياح، ينهلون من حياضه، بعدما كاد عطش الجهل والشرك

يقتلهم، ويتشبثون به تشبث الغريق بجبل النجاة، ويكرهون أن يعودوا إلى الكفر كما كانوا أن يكرهون أن يقدفوا في النار، فارتفعت عبادة الشيطان في كل صورها، وحل بدلاً منها عبادة الرحمن، وأصبحوا بنعمة الله إخواناً متآلفين، لا فرق بينهم، بين سيد وعبد، ولا فضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى، **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}** (سورة آل عمران 110).

وصارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس بقضاء الله تعالى وقدره وتديبره سبحانه وتعالى، وخرج ذلك الجيل العظيم الذي لم تعرف البشرية مثله على الإطلاق، إنه الجيل الذي تم اللقاء فيه بين المثال والواقع، وبين النظرية والتطبيق، فترجمت تصورات الإسلام ومثله إلى واقع إلى عمل، وارتفع بالواقع البشري إلى درجة المثال، عايشوا الجاهلية من قبل ثم انتقلوا إلى الإسلام، فأدركوا بالممارسة عظم تلك النقلة، ولذلك قال عمر رضي الله عنه: لا يعرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية. الذي ما عرف كيف كان الأمر لا يعرف نعمة الإسلام ولا يقدرها حق قدرها.

لقد أنشأهم تلك العقيدة نشأة جديدة وصاغتهم حتى لكأنما ولدوا من جديد، فإذا هم يبذلون أرواحهم ودماءهم وأمواهم في سبيل الله، ويستعذبون القتل من أجل أن تحيا العقيدة، يقدمون من أجل العقيدة، يضحون من أجل الإسلام، من أجل الشريعة، لقد أدركوا نعمة هذا الدين، الذي نقلهم من الظلمات إلى النور، ومن الظلم إلى العدل، إن النقلة البعيدة أثرت في الصحابة ولذلك قدموا للدين، شعروا بالنعمة، فضحوا للدين، وعملوا للدين، فلا غرابة أن تحفل بسيرهم الأعاجيب، وأن تتحقق في حياتهم تلك المثل الرفيعة، لقد ضحوا تضحية لم يوجد لها مثيل، وكان الانطلاق من التقوى والأساس هو العقيدة، فإذا بالابن يقتل أباه المشرك، والأب يقتل ابنه المشرك، ولذلك لم تكن الأعراف والعادات والقبيلة والعشيرة والعصية هي المتحكم في الموقف وإنما العقيدة هي التي كانت تتحكم في الموقف، فإذا بموازين الجاهلية ومعاييرها الظالمة تهمز وتضطرب، ثم تتهاوى وتسقط أمام موازين العقيدة، وكان الصحابة يضعون نحورهم أمام نحر النبي صلى الله عليه وسلم يفدون بأرواحهم، يقول الواحد منهم: يا رسول الله نحري دون نحرك.

وقام عمير بن الحمام رضي الله عنه أول قتيل قتل في سبيل الله في الحرب يقول في معركة بدر الكبرى، بعدما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **((والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة))** [ذكره ابن كثير في السيرة النبوية 424/2]، قال عمير وكان في يده تمرات يأكلهن: بخ بخ، فما بييني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، فقذف التمر من يده وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل، وهو يقول:

ركض إلى الله بغير زاد * إلى التقى وعمل المعاد**

والصبر في الله على الجهاد

وهذا المقداد بن عمر لما استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في مسيره إلى المشركين يقول: يا رسول الله امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا

هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربكم فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد - موضع بمكة بأميال- كان مهلكة، مفازة مهلكة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

ويقول الآخر: والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تكره بنا العدو غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك. فسر على بركة الله، فكانت مقدمات النصر موجودة ولذلك جاء النصر وجاءت النتيجة.

ودعموا الدين بالمال، وقدم أبو بكر رضي الله المال كله في سبيل الله وأبقى لأهله الله ورسوله. والفاروق تصدق بنصف ماله وعثمان جهز جيش العسرة بأكمله، وتصدق عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية، وتصدق عاصم بن عدي الأنصاري بتسعين وسق من تمر وتصدق رجل من الأنصار بصاع من تمر يقول: بت ليلتي أجز بالجرير على صاعين، والله ما كان عندي من شيء غيره، وهو يعتذر ويستحي ويقدم كل ما يملك، الصاع الذي عنده في سبيل الله، فأتيت بأحدهما وتركت الآخر لأهلي.

إذا بأولئك الفتيان الذين لم يكونوا يعرفون في الجاهلية إلا الله والعبث والضياع يتسابقون في ميادين الوغى والحروب، ويتطاولون بأقدامهم في المعارك كي لا يردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لصغر سنهم، ولذلك لم يلتحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى إلا وكانت جزيرة العرب قد طهرت من رجس الأوثان والأصنام، واندحرت فلول الشرك، وعلت رايات التوحيد، بل ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بأقدام المسلمين أرض الروم. وكان الذهب في غزوة تبوك إيذاناً بسقوط دولة الروم، وبعد النبي صلى الله عليه وسلم استمر خلفاؤه على العمل من بعده فأوغلوا في بلاد فارس والروم وقماوت تلك الإمبراطوريات وتساقطت تلك الدول الواحدة خلف الأخرى، حصناً بعد حصن، ومدينة بعد مدينة، وأنفقت كنوز كسرى في سبيل الله، ويدخل ربيعي بن عامر رضي الله عنه إلى مجلس قائد الفرس رستم وقد زين بالتمارق المذهبة والزراي الحرير واليواقيت العظيمة، فيسط بساطه، فيسأله رستم: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

وعلى ضفاف البرموك هزم الروم وارتكس الصليب واندحر القسس والرهبان وغلب الموحدون، وفي حين كان يسلسل جيش الروم بالسلاسل والحبال حتى لا يفر جنوده كان الصحابة رضي الله عنهم على الطرف الآخر يتبايعون على الموت في سبيل الله ويتدافعون شربة الماء بينهم، في الرمق الأخير، إيثاراً من الواحد للآخر، يقول للساقي: ادفعها إليه، فلما دفعت إليه نظر إلى الآخر فقال: ادفعها إليه، فتدافعوها كلهم رضي الله عنهم ورحمهم حتى ماتوا جميعاً، ولم يشربها أحد منهم، وضربوا ذلك المثال في الإيثار الذي من النادر أن يوجد له مثيل.

وفي ساحة القادسية سحقت جحافل الجوسية وتضععت أركان الدولة الفارسية وتهدمت بيوت النيران وأطفئ نارها، وتساقطت أقاليم الفرس بأيدي المسلمين واحداً بعد واحد، حكموا البلاد بالشرعية ونشروا العدل فيها، وجاءت الهداية معهم إلى أهل تلك العباد فعرف الناس وذاقوا طعم الدين كما ذاقه الصحابة الذين كانوا

مصاحف تمشي على الأرض، تنير للعالمين سبل السلام، وهكذا قاموا بالواجب رضي الله عنهم، رضي الله عنهم، رضي الله عنهم. اللهم آمين، آمين، آمين يا رب العالمين.
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.
وأفسحوا لإخوانكم يفسح الله لكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له رب الأولين والآخرين، وديان السماوات والأرضين. القائم على كل نفس بما كسبت لا إله إلا هو ولا رب سواه، وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، هو الرحمة المهداة والبشير النذير والسراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

حال المسلمين اليوم.

وبعد تلك الوقفة مع عز الأمة في ماضيها وقوتها في حياة أسلافها وبكور وقتها، ((وبورك لأمتي في بكورها)) [رواه أبو داود 2606].
نظر اليوم حولنا فنرى أحوالنا في غاية العجب، وحال المسلمين في ذل لا يعلم به إلا الله، وقد استعبدتنا الأمم شرقاً وغرباً، وحصل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ((يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير)) أكثر من أول، ((بل أنتم يومئذ كثير)) كذا مليار، ((بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وليتزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن))، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: ((حب الدنيا وكرهية الموت)) [رواه أبو داود 4297]. وصف بليغ، وصف عظيم، وصف دقيق، قال عليه الصلاة والسلام: ((إذا تبايعتم بالعينة))، العينة ليست هي الربا لكنها وسيلة إلى الربا، مقدمة من مقدمات الربا، بيع العينة حيلة، إذا حصلت ((وأخذتم بأذنان البقر ورضيتم بالزرع)) انشغال بالزراعة ((وتركتهم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا يترعه حتى ترجعوا إلى دينكم)) [رواه أبو داود 3462]. انشغلنا بالدنيا، أقبلنا على المادة، تركنا الجهاد، كرهنا الموت في سبيل الله، تعلقنا بالدنيا، بالبيوت والقصور والسائقين والخدم والوظائف والأموال والاستثمارات، وأنواع الملهيات والألعاب والأشياء المسموعة والمنظورة، والشاشات والأفلام والمسلسلات، ولذلك لا يستغرب أبداً أن نصل إلى ما وصلنا إليه.

الأسباب التي أدت بنا إلى ما نحن عليه.

أيها الإخوة:

إن الأمر لم يقع فجأة، إن الأمر وقع تدريجياً، إن الأمة لم تستيقظ لترى نفسها فجأة بعد عزها في الليل ذليلة في النهار، أبداً، لقد وقع الأمر تدريجياً، نحن نعيش اليوم نتائج الركام الذي تراكم في القرون الماضية المتأخرة بما فيها هذا القرن وهذا الجيل من أجيال المسلمين التي ابتعدت عن الدين، ويمكن أن نلخص الأسباب التي أدت بنا إلى هذا الحال بأمور معينة أرجو أن نحفظها؛ لأنها في غاية الأهمية حتى نعرف من أين أوتينا، يحتاج كل أمر منها إلى

شرح مفصل، ولكننا سنذكرها ذكراً مجملاً لتكون معروفة على وجه العموم، ولعله ييسر بعد ذلك الإتيان إلى تفصيلها.

أولاً: انحصار مفهوم العبادة في الإسلام، الذي ظن كثير من الناس به أن العبادة هي مجرد أداء الشعائر التعبدية فقط.

ثانياً: انتشار الفكر الإرجائي وعقيدة المرجئة التي هي فصل العمل عن الإيمان وأن المهم هو النية الطيبة وحدها، أن يكون ما في القلب سليم فقط، مهما كانت الأعمال والتصرفات بعد ذلك لا يضر. وكل من يصدق بالله فهو مؤمن كامل الإيمان، ما دمت مؤمن بالله مصدق به وبوجوده، وهو الذي كان يؤمن به أبو جهل بالضبط، فأنت مؤمن ولا حاجة بعد ذلك للنظر في الأعمال، أهم شيء القلب الطيب والنية الطيبة.

ثالثاً: انهيار عقيدة الولاء والبراء، الولاء للمسلمين والبراء من الكفار، ذلك الجدار الضخم والحاجز الصلب الذي كان يعزز المجتمع الإسلامي ويغذي الكراهية والجهاد ضد الكفار؛ لأهم أعداء الله، فلا يمكن أن يقع تشبه من رجل عنده ولاء وبراء، ولاء للمسلمين وبراء من الكفار، لا يمكن أن يتشبه بهم فضلاً عن أن يعززهم أو أن ينصرهم أو أن يهنتهم بعيد ونحو ذلك من المظاهر، انهارت عقيدة الولاء والبراء.

رابعاً: غربة العقيدة الصحيحة ومحاربتها وذلك بأشياء منها انتشار علم الكلام والفلسفة، المنطق اليوناني، ليس في الشريعة فلسفة وعلم كلام، في الشريعة قال الله، قال رسوله، لكن انشغل المسلمون كثير منهم بعلم الكلام والفلسفة في بعض الفترات الماضية، وكذلك انتشرت مظاهر الشرك من القبور والأضرحة والتوسلات الشركية وغير ذلك، بالإضافة إلى انتشار البدع والخرافات وهذا عامل مهم جداً؛ لأنه نخر في أصل الأمة وهو التوحيد، وما فعلته الصوفية وطرق الصوفية في هذه الأمة. وتخاذل أهل العلم ولم يقوموا بالدور المطلوب، وأغلق باب الاجتهاد وفتح باب التعصب المذهبي وانحدر المستوى العلمي وعم الجمود والجهل.

هذه بعض من أهم الأسباب التي أوصلتنا إلى ما نحن إليه اليوم.

سنة التدافع والمستقبل للإسلام.

ولكن هل هذا الواقع سيستمر؟ هل هذا الحال سيدوم؟ الجواب: أبداً لا يمكن ذلك، أولاً: لأن من سنن الله تعالى التدافع بين الحق والباطل، **{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ}** (سورة البقرة 251)، والله لا يمكن أن يأذن بدوام الفساد في الأرض، ثانياً: أن الله تعالى أخبرنا في كتابه وعلى لسان رسوله بمبشرات ستقع وتقوم، والتاريخ دورات، دورة تأتي وتمضي، ثم دورة تأتي وتمضي، وسنن الله تعالى واحدة ولكن يتكرر وقوعها مرة بعد مرة عبر مئات وآلاف السنين، ولكن الناس يستعجلون ولا يرون إلا الحياة التي هم يعيشون فيها، السنوات والأيام التي يعيشون فيها، أما استعراض مسيرة التاريخ فقل من يفعله، لما كان بنو إسرائيل في ذل فرعون وبطشه وجبروته قتل أولادهم واستحيا نساءهم وسامهم سوء العذاب، لما أذن الله بأن يكونوا هم السادة، قال الله: **{ونريد}**، وإذا أراد الله انتهى كل شيء، **{وَوُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُبْرِئِ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ}** من بني إسرائيل **{مَا كَانُوا}**

يَخْذَرُونَ { (سورة القصص 5-6) ، ولذلك قتل أولادهم لأنه كان يخشى أن يكون زوال ملكة على يد واحد من بني إسرائيل، وقال الله: **{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}** (سورة الأنبياء 105)،

فإذن الله سبحانه وتعالى يريد أن يمن على الذين استضعفوا في الأرض ويجعلهم الأئمة ويجعلهم الوارثين بالمبشرات التي أخبرنا بها النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه أخبرنا أنه في أول الأمر أمر هذه الأمة خلافة راشدة على منهاج النبوي، ثم تحدث عن أطوار تنحرف فيها الأمور وتتغير إلى أن قال في آخر مرحلة: **(ثم تكون خلافة على منهاج النبوة)**، ثم سكت. [رواه أحمد 18406] وهذه الخلافة على منهاج النبوة لم تأت بعد، ولذلك فلا بد أن تأتي، ثم إقبال الناس على الإسلام اليوم واتجاه أعداد من الشباب إلى دين الله تعالى، الشباب الذين هم في سن اللهو والعبث يهتدون، قد لا نستغرب هداية الشايب، ولكن هداية شاب في عصر المغريات، قمة الفساد في الأرض في هذا الزمان هو العجب العجيب. فوفود هؤلاء إلى طريق الهداية إلى طريق الإسلام يعبر عن بشارة بدأت مقدماتها في الوقوع، دخول أعداد من الكفار في دين الإسلام، في مصر بلغ عدد الذين جاءوا إلى لجنة الفتوى بالأزهر ليعلموا إسلامهم خلال عام واحد ستمائة أجنبي ما بين رجل وامرأة، في مراكز توعية الجاليات عندنا إسلام الكفار سنوياً بالآلاف، بالآلاف، إقبال الكفرة على الإسلام حتى في ديار الغرب إنما يعبر ويوضح أن دين الله عائد إلى مسرح العالم وإلى الظهور من جديد، ويدخل من الأطباء والمهندسين والمفكرين وغيرهم أعداد إلى طريق الهداية، بل حتى الفنانين والفنانات، حصلت توبة عدد منهم، وهم الذين كانوا قد ارتكسوا في مستنقع الرذيلة إلى أسفله، ثم انهميار الشيوعية وسقوط الاشتراكية والمبادئ الزائفة والشعارات المضللة، والعقائد المنحرفة سقوطها معنى ذلك أنها لن تستمر، وستسقط الرأسمالية ولا بد، والمعسكر الغربي، ولكن سقوطه ربما يتأخر إلى حين يأذن به الله تعالى، وإلا فإن أسباب سقوط الحضارة الغربية قد قامت ولا شك، وأن الانهميار بدأ فعلاً عندهم كما صرح بذلك مفكروهم ومنظروهم، ولكن السقوط التام ربما لا يكون في حياتنا ولا في حياة أولادنا، إن الله يجلي الأحداث، **{وَإِنَّ يَوْمًا**

عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} (سورة الحج 47)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(ولكنكم تستعجلون)** [رواه البخاري 3612]، ولكن قدر الله ماضي وسيأتي ولا بد، وما هو إذن المطلوب منا؟ هو العمل أيها الإخوة، العمل، فسواء جاءت المنية وقد سقط الغرب أو لم يسقط فإن الإنسان يكون قد كسب عمره، وسواء رأى المسلم في حياته نصرته دين الله في الأرض أو لم يره فيكون قد عمل للدين؛ لأن المسألة في النهاية الجنة والنار، نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح ذات بيننا واهدنا سبيل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، اللهم أقم علم الجهاد، واقمع أهل الزيغ والفساد والعناد، وانشر رحمتك على العباد، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا يا رب العالمين، اللهم اجعل غيشتنا قريباً، وفرجنا عاجلاً يا رب العالمين، أغث عبادك وبلادك وأحيي بلدك الميت، اللهم إنا نسألك الأمن يوم الوعيد والفوز بالجنة دار الخلود وأن تجعلنا مع الركع السجود يا حلِيم يا ودود.

وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.